

المحاضرة الاولى

لعلاقة بين الحديث والعقائد الاسلامية :

الحديث في لسان العرب: الجديد من الأشياء، نقيض القديم؛ ويُطْلَق على الكلام، قليله وكثيره؛ لأنه يحدث ويتجدد شيئاً فشيئاً، وجمعه أحاديث.

وأما الحديث في اصطلاح علمائه، فهو: ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم: من قول أو فعل، أو تقرير، أو وصف خُلقي أو خُلقي.

ومعنى التقرير:

أن يقول أحدُ أمامه صلى الله عليه وسلم قولاً، أو يفعل فعلاً، فلا يُنكره عليه؛ أو لا يكون أمامه، ولكن يبُلِّغه فيسكت عليه، فسكوته هذا تقرير له، يكتسب به صفة الشرعيّة؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه، لا يُقرّ أمراً غير مشروع.

أما صفاته الخُلقيّة، فمثل ما ورد في الأحاديث: من كونه أبيض الوجه مُشرباً بحمرة، وأنه ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد، وأنه إذا مشى فكأنما ينحط من صَبب؛ أي: مكان مُنحدر.

وأما صفاته الخُلقيّة، فكما ثبت من أنه صلوات الله وسلامه عليه كان أجود الناس، وأشجع الناس، وأشدهم تواضعاً وعطفاً على الفقراء والمساكين، والأرامل واليتامى! وأعظمهم حلمًا وعفواً، مع قدرته على العقوبة، وأنه ما كان يُواجه أحدًا بما يكره، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق التي بعثه الله بها ليُتمها.

والحديث بهذا المعنى خاص بالمرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، على ما ذهب إليه كثير من المحدثين وجروا عليه في كتبهم.

ألفاظ تدور بين المحدثين:

ويُصَلِّ بلفظ "الحديث" ومعناه، ألفاظ دارت بين المحدثين، ينبغي الوقوف على معناها، لطلاب العلم عامة، وللراغبين في "علم الحديث" خاصة، منها:

الخبر، والأثر، والسنة، والمتن، والسند، والإسناد، والمُسند، والمُسند، والمحدث، والحافظ، والحجة، والحاكم:

فالخبر: مُرادف للحديث بالمعنى الأول الذي ذهب إليه كثير من المحدثين كما أسلفنا، وقيل: إنهما متباينان؛ فالحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر ما جاء عن غيره؛ وقيل: إن الخبر أعم من الحديث؛ لشموله ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن غيره؛ والحديث خاص بما جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه.

والأثر: الحديث الموقوف على الصحابي؛ وقيل: الحديث مطلقاً؛ مرفوعاً أو موقوفاً.

والسنة مرادفة للحديث بالمعنى المتقدّم؛ وقيل: الحديث خاص بقوله صلى الله عليه وسلم وفعله، والسنة أعم.

والمتن: غاية ما ينتهي إليه السند من الكلام.

والسند: الطريق الموصل إلى المتن؛ أي: الرواة الموصولون إليه.

والإسناد: رفع الحديث لقائله، وقيل: إنه بمعنى السند.

والمسند - بفتح النون -: ما اتصل سنده من أوله إلى منتهاه، ولو كان موقوفاً.

وقيل: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً، متصلاً أو منقطعاً، ويُطلق المسند أيضاً على الكتاب الذي جُمع فيه مرويات الصحابي.

والمسند - بكسر النون -: من يروي الحديث بإسناده.

والمحدّث: من يتحمّل الحديث، ويعتني به رواية ودراسة.

والحافظ: من يحفظ مائة ألف حديث متناً وإسناداً ولو بطرق متعددة، أو يعي ما يحتاج إليه.

والحجة: من أحاط بثلاثمائة ألف حديث.

والحاكم: من أحاط بالسنة.

أنواع الحديث

صحيح، حسن، ضعيف، مسند، متصل، مرفوع، موقوف، مقطوع، مرسل، منقطع، معضل، مدلس، شاذ، منكر، ماله شاهد، زيادة الثقة، الأفراد، المعلل، المضطرب، المدرج، الموضوع، المقلوب.

معنى العقيدة لغةً واصطلاحاً

العقيدة لغة: مصدر من اعتقد يعتقد اعتقاداً وعقيدة، مأخوذ من العقد، وهو: الرّبط والشّد بقوة وإحكام، ونحو ذلك ممّا فيه توثق وجزم؛ ولذا يُطلق العقد على البيع والعهد والنكاح واليمين ونحوهما من المواثيق والعقود؛ لارتباط كلّ من الطرفين بهذا العقد عرفاً وشرعاً، إلى غير ذلك ممّا يجب الوفاء به؛ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة: 1].

والعقيدة في الاصطلاح: هي ما ينعقد عليه قلب المرء ويجزم به ويتّخذه ديناً ومذهباً؛ بحيث لا يتطرق إليه الشكّ فيه، فهي حكم الذهن الجازم أو ما ينعقد عليه الضمير، أو الإيمان الجازم الذي يترتب عليه القصد والقول والعمل بمقتضاه.

العقيدة الإسلامية الصحيحة: هي التي دلّت عليها أصول الإسلام من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وهي: الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإيمان بكلّ ما جاء به القرآن، وبكلّ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والسنة الصحيحة من: الأخبار والغيوب والأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وسائر ما أجمعت عليه الأمة،

والتسليم لله بذلك كله، والعمل له تعالى بمقتضاه، والطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم والاتباع له.

فهي: تصديق بالغيب، وتوحيد وتنزيه للرب، وعبادة لله بما شرع، واليقين بلقائه سبحانه وجزائه.

تشمل العقيدة الإسلامية: وجوب توحيد الله تعالى فيما يجب له، وتنزيهه عما لا يليق به، والقيام بأركان الإسلام وحقائق الإيمان والإحسان، والتصديق بالنبوات، والكتب، وأحوال البرزخ، والآخرة، وسائر أمور الغيب.

ولمَّا سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم: بِمَ أَرْسَلَكِ اللهُ؟ قال: "أُرْسِلُنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكِسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْئًا"، رواه مسلم [١]، وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذٍ عندما بعثه إلى اليمن: "فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يُوحِّدوا الله" [٢]، وصحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنه لن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة" [٣].

ومتى ما حكم الإنسان عقله يرى أن العقيدة الإسلامية تشكل نظاماً متكاملًا للحياة البشرية بمختلف أطوارها ويرسم الطريق لكل جوانبها وينسجم مع الفطرة الإنسانية ويضمن تحقق حاجات الفرد الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن ودقيق، وبما يضمن كرامته وشخصيته.

وعلى قواعد هذه العقيدة يقوم بناء الشخصية، شخصية الفرد والمجتمع، وتنظم العلاقات والروابط، وتحدد الحقوق والواجبات، وتتحقق العدالة والمساواة، ويستتب الأمن والسلام، وينشأ التكافل والتضامن، وتزدهر الفضائل والمكارم، ويبنى الإنسان على كافة الأصعدة.

فعلى الصعيد الفكري أخرجت العقيدة الإسلامية الإنسان من عالم الخرافات والجهل لتأخذ بيده إلى دنيا العلم والنور، محفزة الطاقات الكامنة فيه للتأمل والاعتبار بآيات الله ودلائله، وبذلك فقد نبذت التقليد في الاعتقاد وربطت بين العلم والإيمان.

وعلى الصعيد الاجتماعي استطاعت العقيدة الإسلامية أن تسمو بالروابط الاجتماعية من أسس العصبية القبلية واللون والمال إلى دعائم معنوية تتمثل بالتقوى والفضيلة والأخاء الإنساني، فشكّل المسلمون خير أمة أخرجت للناس بعد أن كانوا جماعات متفرقة متناحرة.

وعلى الصعيد الأخلاقي نجحت العقيدة الإسلامية في تنمية الواعز الذاتي القائم على أساس الإيمان برقابة الخالق جلّ وعلا لكل حركات الإنسان وسكناته وما يستتبع ذلك من ثواب وعقاب، الأمر الذي أدى إلى تعديل الغرائز وتنمية شجرة الأخلاق الفاضلة وجعلها عنصراً مشتركاً في جميع الأحكام الإسلامية.

كما أسهمت العقيدة الإسلامية في بناء المجتمع اقتصادياً وسياسياً وتربوياً، وبذلك فهي تمثل عنصر القوة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

فلأجل النهوض بالإنسان المسلم من حالة الضعف الروحي والانزلاق في مهاوي المادية ومغرياتها، لا بدّ من تذكيره بمعطيات تلك العقيدة، وترسيخ قناعاته بقوتها وصلاحيتها لكلّ العصور بلغة معاصرة، وبشكل يتناسب مع مقتضيات العصر الحديث، والتحليل الفكري.

والعلاقة بين الحديث والعقيدة : مهمة جدا في الإسلام ومتلازمة ومترابطة فحينما يقول المسلم إنني أتمسك بأحاديث النبوة فهذا يعني أنه يستند إليها كمنهج حياة، ويتساءل عددٌ من الناس عن أهمية الأحاديث النبوية الشريفة في العقيدة الإسلامية، والحقيقة إن أهميتها كبيرة تتجلى في عددٍ من النقاط نذكر منها: من مصادر التشريع، ففقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها يعتمدون على السنة النبوية الشريفة في استنباط كثيرٍ من الأحكام الفقهية التي تشكل مرجعاً للناس في معاملاتهم وسلوكياتهم، وانطلاقاً من هذه الأهمية الكبيرة للسنة النبوية الشريفة في التشريع الإسلامي فقد عكف عددٌ من العلماء على دراسة أحاديث النبي الكريم وعنوا بها عنايةً كبيرة وعلى رأسهم الإمام البخاري الذي صنّف كتاباً في الأحاديث الصحيحة التي ثبتت عن النبي الكريم روايةً وسنداً، فالأحاديث النبوية الشريفة. مصدر توجيه وإرشاد، فقد حفلت الأحاديث النبوية الشريفة بكثيرٍ من الأقوال والتوجيهات الأخلاقية للمسلمين، بل إن كثيراً من الأحاديث اشتملت على صفات النبي عليه الصلاة والسلام وبما أن المسلمين مأمورون بالتأسي والافتداء بنبيهم فهي تشكل لهم مرجعاً في ذلك. تفسير وبيان كثيرٍ من الأحكام التي جاءت مجملّة في القرآن الكريم، فكما نعلم بأن كثيراً من الأحكام في القرآن الكريم جاءت مجملّة بدون تفصيل، فجاءت السنة النبوية الشريفة لتبين تفاصيلها ببيان المجمل وتفسير المبهم، فصفة الصلاة مثلاً عرفها المسلمون من النبي الكريم حين كان يؤديها علانيةً بين الناس قائلاً (صلّوا كما رأيتموني أصلي)، وفي الحج والعمرة كذلك كان النبي الكريم يردّد على مسامع المسلمين قوله خذوا عني مناسككم. مصدر لبيان حال الأقسام السابقين، فقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الأنبياء وقصصهم مع أنبيائهم. مصدر إخبار عن الغيبات التي تحدث بين يدي الساعة، ولا شك أن الإيمان بالغيب هو جزءٌ من عقيدة المسلم وإيمانه أخيراً فإن التمسك بهدي النبي عليه الصلاة والسلام وسنته التي وردت في أحاديث النبوة هي طريق النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، فالسنة النبوية إلى جانب كتاب الله تعالى هما الثقلان اللذان دعا النبي إلى التمسك بهما بقوله تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه .. وصلى الله على النبي واله وسلم

المحاضرة الثانية

الاحاديث الشريفة الواردة في أثر العقيدة في بناء شخصية الانسان:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى عباده وكلفهم بالعبادة وعمارة الأرض وأكرمهم بمكارم الأخلاق وأمرهم بها حتى غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مضرب المثل في الإيمان الصادق والأخلاق العظيمة، ثم وعدهم برضوانه والدخول إلى جنته ، وكذا أندر وتوعد كل من يخالف هذه العقيدة ومن لا يربط الإيمان بالعمل ويتخذها أماني فقط، توعدهم بالعذاب والشقاء قال عز من قائل: لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) [النساء : ، فإن هذه العقيدة العظيمة عقدت في القلب

فانفجر نورا مضيئاً من الأعمال الصالحة ذلك أن المصدر هو الله نور السماوات والأرض، وتركت آثاراً واضحة في الفرد ومن هذه الآثار نذكر:

١- العقيدة.. و قوة البدن:

لا يقتصر الأمر - فقط - على صياغة الشخصية من جديد، بل أستطيع أن أقرر أن التزام الشرع يعطي قوة بدنية، ولهذا الأمر شواهد كثيرة؛ منها هذا الحديث الذي رواه مسلم من حديث الامام علي بن أبي طالب - عليه السلام - أن فاطمة - عليها السلام - اشتكت ما تلقى من الرحي في يدها، وأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - سبي؛ فانطلقت؛ فلم تجده، ولقيت عائشة؛ فأخبرتها؛ فلما جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها؛ ف جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - إلينا وقد أخذنا مضاجعنا؛ فذهبنا نقوم؛ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - ((على مكانكما؛ فقعد بيننا؛ حتى وجدت برد قدمه على صدري، ثم قال: ألا أعلمكم خيراً مما سألتن؟ إذا أخذتُمَا مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين؛ فهو خير لكم من خادمٍ

توجيه الدليل:

فاطمة - رضي الله عنها - تعمل بالرحى حتى أثرت في يدها، ويشهد لهذا ما جاء في سنن الترمذي عن علي - رضي الله عنه - "شكت فاطمة إليّ مجلّ يديها"، ويقال لليد: مجلّت، إذا ثخن جلدها، وتعجرت، وظهر فيها ما يشبه البتر، من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة، ففاطمة - رضي الله عنها - تشتكي من الجهد المبدول في بيتها، وتريد خادمة تحمل عنها؛ ويكون الجواب ورُد من الأذكار (يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة على الخدمة، أكثر مما يقدر الخادم. أو بعبارة أخرى: (إن الذي يلزم ذكر الله؛ يُعطى قوة أعظم من قوة الخادم، أو تسهل الأمور عليه؛ بحيث يكون تعاطيه أموراً أسهل من تعاطي الخادم لها)، هكذا استنبطه بعضهم من الحديث.

٢- الاستقامة على الصراط المستقيم :

وأكبر أثر تتركه العقيدة في الفرد أن يكون مستقيماً في الصراط المستقيم، محققاً للعبادة التي خلقه الله من أجلها حيث يقول: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) [الذاريات : ٥٦]. عن عبد الله بن مسعود قال: ((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ]

٣- طلب العلم والكد فيه:

ولا يعبد الله عن جهل كما لا يستطيع الفرد العيش في جهل مطبق، والعلم يشمل كل نواحي الحياة دينا ودنيا، ، والمؤمن مطيع لربه إذ يأمره في أول آية أنزلت في القرآن الحكيم: أقرأ باسم ربك الذي خلق. وجاء في الحديث الصحيح: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل

الله له به طريقاً إلى جنة». فيقول عليه وآله الصلاة والسلام كما في حديث أبي أمامة: "فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم".

٤- الأخوة بين المسلمين:

قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)، [١١]، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) [الحجرات : ١٣].

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن؟ يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه). [٥]

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، "بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ". أخرجه أحمد (٢٧٧/٢ ، رقم ٧٧١٣) ، ومسلم (١٩٨٦/٤ ، رقم ٢٥٦٤) .

٥- السعادة والطمأنينة:

وهي أتمن ما يبحث عليه كل إنسان في الدنيا والآخرة، ، فيعيش قرير العين، مطمئن البال سعيد القلب، لأنه متيقن بأن الله تعالى سيجزيه الجزاء الأوفى وما ربك بظلام للعبد،: "الذين يعيشون الإسلام كما أنزل يحيون بقلوبهم في هذه الدنيا وكأنهم يعبون من كؤوس اللذة في جنة النعيم" قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

عن واثلة بن الأسقع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب .

٦- الإخلاص:

ذلك أن الله واحد، وشرط القبول واضح وثمرته معروفة، لذلك على المسلم أن يكون مخلصا في عمله لله وفي معاملته للناس ولنفسه. يتعلّق الإخلاص بحياة المسلم من عدة جوانب، فالإنسان مُطالبٌ بإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى وهو من أوجب الواجبات عليه، ويكون ذلك في كل أحوال العبد وأعماله، ولا يُقبل عمل المسلم إلا بالإخلاص، حيث ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)،

فمدار أعمال العبد راجعٌ لنيته من وراء ذلك العمل، ومدى إخلاصه لله فيه، فإن أدى المسلم عبادةً معينةً بقصد التَّقَرُّبِ إلى الله دون التفكير فيما سواه كان قد أخلص العمل لله، وإن أداها بقصد التَّزَلُّفِ للخلق بحسن العمل أو لإظهار أنه من أهل العبادات فيكون قد راعى في الإخلاص هو الأساس الذي بُنيت عليه دعوة الأنبياء والرُّسل لجميع من بُعثوا إليهم دون استثناء، حيث قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً)،

٧- حب العمل في سبيل الله:

فالمسلم متيقن بأن الله تعالى سيجزيه بالجنة إذا عمل في سبيله حقاً ، وهذا اليقين من حقه أن يأخذ بذلك المسلم إلى حب الإقدام في سبيل الله، والعمل في سبيله و أيضاً أن يعمل الإنسان ويكد لكسب قوته وكذلك خدمة غيره، فالله الله على هذه القوة وعلى هذا اليقين الضارب في الأعماق والمتجذر في القلوب. وفي الحقيقة إننا نملك ديناً حضارياً عظيماً يحمل بين ضفافه أسباب الحضارة، ويقود بأفئدتنا إلى السعادة والتوازن

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً) رواه مسلم

٢- عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) رواه البخاري

٣- عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر) رواه البخاري ومسلم .

ويتبين لنا أثر هذه العقيدة في صياغة القادة وتخريج الرجال، وأثرها - أيضاً - في بناء الأجيال والمجتمعات، وتغيُّر الأمم والحضارات، وإلا لما بلغت أمة الإسلام ما بلغت.

إنها العقيدة، التي إذا تمسك المسلم بها، وعاش في ظلها، تغيرت حاله، واستقامت حياته، بل وقوي بدنه، وأصبح شخصاً آخر، غير الذي يعرف، أمناً مطمئناً هنيئاً سعيداً.

المحاضرة الثالثة

محاضرة في أهمية استلال العقائد من الحديث - أ -

يوم الأحد ٢٠٢٠ / ٣ / ١٥

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين وصحابته اجمعين وبعد

على بركة الله تعالى نبتدأ المحاضرة لهذا اليوم الاحد فنقول انتهينا في الدرس الماضي من موضوع العدل الالهي وادلته اما اليوم فعندنا موضوع اهمية استلال العقائد من الحديث النبوي الشريف: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ أَكْمَلَ لَهَا دِينَهَا، وَأَتَمَّ عَلَيْهَا نِعْمَتَهُ، وَرَضِيَ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينًا، وَمَا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا وَقَدْ تَرَكَهَا عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلِهَا كِنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، وَمَا تَرَكَ خَيْرًا يَقْرَبُهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَعِدُهَا عَنِ النَّارِ، إِلَّا وَدَلَّهَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا وَحَدَّرَهَا مِنْهُ؛ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْتِنَا، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْتِنَا.

فسار سلفنا الصالح من ال البيت والصحابه والتابعين، ومن سلك نهجهم، وخطا خطاهم، على نهج نبيهم -صلى الله عليه وسلم- وقد أمرنا الله - عز وجل - أن نتبع سبيل المؤمنين، وحذر من أتباع السُّبُلِ التي تَفَرَّقُ بِأَصْحَابِهَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ قَالَ: هَذَا {صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]، ويقول - سبحانه -: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥].

ولما أظلمت السُّبُلُ، وكثرت الفتن، وظهرت الفِرَقُ، وأُتخذت الأدلة مركبًا للأهواء والبدع، كانت راية أهل الحديث خفاقة، يتناولها قرن بعد قرن، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

يتميزون عن غيرهم بمنهج في التلقي والاستدلال له قواعده المحكمة، فكانت كالسراج لمن جاء بعدهم، واهتدى بهديهم، وسلك سبيلهم، وقد ذكرها كثير من أهل العلم بين مُطيل ومختصر، ومجمل ومفصل، وقد أردت جمعها بعبارة وجيزة توفي بالمقصود، من غير إخلال ولا إملال، في ثماني قواعد، لمن أراد التبيان، وهي:

• القاعدة الأولى: اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي كتابًا وسنة:

فأهل السنة يؤمنون بجميع نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، فالحجة في كلام الله -تعالى- في إثبات ما أثبتته الله، ونفي ما نفاه، وفيما صح من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهما يكفيان لجميع متطلبات الحياة في جميع شؤونها وجوانبها إلى قيام الساعة.

وقد تمثلت هذه القاعدة في عدة ركائز:

أ- أن هذا الدين كامل، لا يحتاج معه إلى غيره من مناهج البشر؛ يقول الله - تبارك وتعالى -: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة: ٣].

ب- الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقق رضا الله، والفوزُ بجنته، والنجاةُ من عذابه، إلا بالإيمان بنصوص الكتاب والسنة، والعمل بما جاء به، وما يترتب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها - اعتقادًا، وعملاً، وسلوكًا - مستمسكًا ومعتصمًا بهما، لا يزيغ عنهما، ولا يتعدى حدودهما، ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف، فنصوص الكتاب والسنة هي الأصل والميزان والحكم عند النزاع، وبها تُوزن الأقوال والآراء؛ كما قال -تعالى-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

ج- وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهم التعارض، وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح.

د- الأدب مع نصوص الكتاب والسنة وذلك بأن تُراعى ألفاظها عند بيان العقيدة، وألاً تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية.

"ومما ينبغي أن يُعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عُرف تفسيرها، وما أُريد بها من جهة النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة، ولا غيرهم".

المحاضرة الرابعة

اهمية استلال العقائد من الحديث - ب - الاثنين ١٦ / ٣ / ٢٠٢٠

• القاعدة الثانية: عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة:

وقد تجلّى هذا في منهج من خلال عدة أمور:

أ- حرصهم على العلم النافع مع العمل الصالح؛ فالعلم علماً: علم نافع، يؤدّ عملاً، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وعلم غير نافع، لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة.

قال معروف الكرخي: "إذا أراد الله بعبد خيراً، فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً، أغلق عنه باب العمل، وفتح له باب الجدل".

يقول ابن رجب: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيم أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع غني واشتغل" [٨].

ج- الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز، فرُدوا على أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنية على الكتاب والسنة، ولم ينهوا عن جنس النظر والاستدلال؛ ولكن معارضتهم لها تركزت على الأساليب الكلامية المبنية على غير الكتاب والسنة.

• القاعدة الثالثة: حجية السنة في العقيدة، ومن ذلك خبر الأحاد:

وهذه من القواعد الكبرى في منهجهم وتميّزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع.

وقد كان اعتمادهم على السنة، وتعظيمهم لها، مبنياً على أمور، منها:

أ- أن من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، التي لا يتم الإيمان إلا بها: وجوب تصديقه فيما أخبر، سواء كان عن الله، أو صفاته، أو مخلوقاته، أو ما يستقبل من أمور الآخرة، وغيرها من الغيبيات.

ب- أن أعرف العباد بما يصلح لهم هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو أرحم بهم من أنفسهم.

ج- أن الرسول بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه، لم يكتم شيئاً من ذلك، وأنه - عليه الصلاة والسلام - قد بلغ ذلك أتمّ بلاغٍ وأبينّه، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فما من خير إلا ودلّ أمته عليه، وما من شر إلا وحذرها منه.

وقد تمثّلت هذه الأمور السابقة في موقفهم من الأحاديث، وتعظيمهم لها، وذلك بكونها وحياً من الله -تعالى- وبكونه -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى، وبدا هذا واضحاً من خلال:

١- الخضوع لحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذا صحّ، وتعظيمه، وعدم الاعتراض عليه بأي نوع من أنواع الاعتراض، فلا تحلّ معارضته بذوق، أو وجد، أو رأي، أو قياس، ونحوه.

٢- اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة، ونبذ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فأوجبوا التحقق من الأحاديث قبل الاحتجاج بها؛ حتى لا يُنسب إلى دين الله ما ليس منه.

٣- حجية خبر الأحاد في العقيدة، إذا صحّ وتلقته الأمة بالقبول هذا من المعالم الرئيسة لمنهجهم يقول ابن أبي العز: "وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به، وتصديقاً له، يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين الأمة في ذلك نزاع".

المحاضرة الخامسة

شرح حديث جبريل في تعليم الدين (الاحد ١ / ٣ / ٢٠٢٠)

عن عبد الله بن عمر قال: "حدّثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلّع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان قال:

أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤل عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن

أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

الشرح -

قوله: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثرُ السفر ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه"، ثم سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأماراتها، وقال بعد ذلك: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"

ما يستفاد من الحديث

الحديث فيه عدة فوائد للعالم والمتعلم :

الأولى: جاء في صحيح البخاري (٥٠) ومسلم (٩) عن أبي هريرة قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس"، وفي سنن أبي داود (٤٦٩٨) بإسناد صحيح عن أبي ذر وأبي هريرة قالوا: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراي أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكاناً من طين، فجلس عليه، وكنا نجلس بجنبيته"، وفي هذا دليلٌ على أنه ينبغي للمعلم أن يكون على مكان مرتفع لكي يُعرف وليراه الحاضرون جميعاً، لا سيما إذا كان الجمعُ كثيراً، فيتمكّن الجميع من الاستفادة منه.

الثانية: أن الملائكة تأتي إلى البشر على شكل البشر، ومثل ذلك ما جاء في القرآن من مجيء جبريل إلى مريم في صورة بشر، ومجيء الملائكة إلى إبراهيم ولوط في صورة بشر، وهم يتحولون بقدره الله عز وجل عن الهيئة التي خلقوا عليها إلى هيئة البشر، وقد قال الله عز وجل في خلق الملائكة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} ، وفي صحيح البخاري (٤٨٥٧) ، ومسلم (٢٨٠) أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وله ستمائة جناح، ومثل الملائكة في المجيء على هيئة البشر: الجن، كما ثبت في صحيح البخاري (٢٣١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الذي يأتي إليه ويحثو من الطعام، وكما تأتي الجن على هيئة البشر؛ فإنها تأتي على هيئة الحيات، كما في صحيح مسلم (٢٢٣٦) .

والملائكة والجن وهم على هيئتهم يرون البشر من حيث لا يرونهم، وقد قال الله عز وجل عن الجن: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ}

الثالثة: ليس في مجيء جبريل على هيئة البشر دليلًا لِمَا حدث في هذا الزمان من التمثيل الذي هو نوع من الكذب؛ لأنَّ جبريل تحوَّل بقدره الله وإذنه عزَّ وجلَّ عن هيئته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح إلى هيئة بشر.

الرابعة: في مجيء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلوسه بين يديه بيان شيء من آداب طلبه العلم عند المعلم، وأنَّ السائل لا يقتصر سؤاله على أمور يجهل حكمها، بل ينبغي له أن يسأل غيره وهو عالم بالحكم ليسمع الحاضرون الجواب، ولهذا نسب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث التعليم، حيث قال: "فإنَّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"، والتعليم حاصلٌ من النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه هو المباشر له، ومضافٌ إلى جبريل؛ لكونه المتسبَّب فيه، وفي صحيح مسلم (١٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلوني، فهابوه أن يسألوه"، فجاء رجل فسأله، وفي آخره قال صلى الله عليه وسلم: "هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا".

الخامسة: لم يرد في الصحيحين سلام جبريل عند مجيئه إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وفي حديث أبي هريرة وأبي ذر عند أبي داود الذي أشرت إليه قريباً:

"فأقبل رجل - فذكر هيئته - حتى سلم من طرف السَّمَاط، فقال: السلام عليك يا محمد، قال: فردَّ عليه النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم".

السادسة: قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١٦/١ - ١١٧) : "فإن قيل: كيف عرف عمر أنَّه لم يعرفه أحدٌ منهم؟ أجيب بأنَّه يحتمل أن يكون استند في ذلك إلى ظنِّه، أو إلى صريح قول الحاضرين، قلت: وهذا الثاني أولى، فقد جاء كذلك في رواية عثمان بن غياث، فإنَّ فيها: فنظر القوم بعضهم إلى بعض، فقالوا: ما نعرف هذا"، وهذه الرواية في المسند للإمام أحمد (١٨٤) .

السابعة: ذكر النووي في شرح مسلم (١٥٧/١) أنَّ الضمير في "فخذيته" يرجع إلى جبريل، وقال غيره: إنَّه يرجع إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قال الحافظ في الفتح (١١٦/١) : "وفي رواية لسليمان التيمي: ليس عليه سحناء السفر، وليس من البلد، فتخطى حتى برَك بين يدي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كما يجلس أحدنا في الصلاة، ثم وضع يده على ركبتي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وكذا في حديث ابن عباس وأبي عامر الأشعري: "ثم وضع يده على ركبتي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم" فأفادت هذه الرواية على أنَّ الضمير في قوله: (على فخذيته) يعود على النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي لهذه الرواية، ورجَّحه الطيبي بحثاً؛ لأنَّه نسق الكلام، خلافاً لِمَا جزم به النووي، و وافقه التوربشتي؛ لأنَّه حملة على أنَّه جلس كهيئة المتعلِّم بين يدي من يتعلَّم منه، وهذا وإن كان ظاهراً من السياق لكن وضعه يديه على فخذ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم صنيع منبّه للإصغاء إليه، وفيه إشارة لِمَا ينبغي للمسؤول من التواضع والصَّفح عمَّا يبدو من جفاء السائل، والظاهر أنَّه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظنُّ بأنَّه من جُفَاة الأعراب، ولهذا تخطى

الناس حتى انتهى إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم"، وفي سنن النسائي (٤٩٩١) أنَّه وضع يده على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونكمل الشرح في المحاضرة القادمة ان شاء الله تعالى

٥ - قوله: "وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه"، فيه فوائد:

الأولى: أجاب النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عندما سأله عن الإسلام بالأمر الظاهرة، وعندما سأله عن الإيمان، أجابه بالأمر الباطنة، ولفظاً الإسلام والإيمان من الألفاظ التي إذا جُمع بينها في الذكر فُرِّقَ بينها في المعنى، وقد اجتمعا هنا، فُفسِّرَ الإسلام بالأمر الظاهرة، وهي مناسبة لمعنى الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى، وفسِّرَ الإيمان بالأمر الباطنة، وهي المناسبة لمعناه، وهو التصديق والإقرار، وإذا أُفرد أحدهما عن الآخر شمل المعنيين جميعاً: الأمور الظاهرة والباطنة، ومن مجيء الإسلام مفرداً قول الله عزَّ وجلَّ: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ، ومن مجيء الإيمان مفرداً قول الله عزَّ وجلَّ: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ، ونظير ذلك كلمتا الفقير والمسكين، والبر والتقوى وغير ذلك.

الثانية: أوَّلُ الأمور التي فُسرَّ بها الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهاتان الشهادتان متلازمتان، وهما لازمتان لكلِّ إنسيٍّ وجنيٍّ من حين بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، فمن لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم كان من أصحاب النار؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" رواه مسلم (٢٤٠) .

وشهادة أن لا إله إلا الله معناها لا معبود حق إلا الله، وكلمة الإخلاص تشتمل على ركنين: نفي عام في أولها، وإثبات خاص في آخرها، ففي أولها نفي العبادة عن كلِّ من سوى الله، وفي آخرها إثبات العبادة لله وحده لا شريك له، وخبر "لا" النافية للجنس تقديره "حق"، ولا يصلح أن يُقدَّر "موجود"؛ لأنَّ الآلهة الباطلة موجودةٌ وكثيرةٌ، وإنما المنفيُّ الألوهية الحقَّة، فإنَّها منتقبةٌ عن كلِّ من سوى الله، وثابتةٌ لله وحده.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله، أن يُحبَّ فوق محبة كلِّ محبوب من الخلق، وأن يُطاع في كلِّ ما يأمر به، ويُنتهى عن كلِّ ما نهى عنه، وأن تُصدَّق أخباره كلها، سواء كانت ماضية أو مستقبلية أو موجودة، وهي غير مشاهدة ولا معاينة، وأن يُعبد الله طبقاً لما جاء به من الحقِّ والهدى.

وإخلاصُ العمل لله وأتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم هما مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكلُّ عمل يُتقَرَّب به إلى الله لا بدَّ أن يكون خالصاً لله ومطابقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فُقدَ الإخلاصُ لم يُقبل العمل؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} ، وقوله تعالى في الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"

المحاضرة السابعة

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن اركان الاسلام الواردة في حديث جبريل في تعليم الدين ،
واليوم نتحدث عن مسألة اخرى في حديث جبريل الى وهي اركان الايمان وهي تنمة لشرح ما
جاء في الدرس الماضي فنقول على بركة الله تعالى:

- قوله: "قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،
وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه،
فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

فيه فوائد:

الأولى: هذا الجواب مشتمل على أركان الإيمان الستة، وأول هذه الأركان الإيمان بالله، وهو
أساس للإيمان بكل ما يجب الإيمان به، ولهذا أُضيف إليه الملائكة والكتب والرسل، ومن لم
يؤمن بالله لا يؤمن ببقية الأركان، والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته
وأسمائه وصفاته، وأنه سبحانه وتعالى متَّصفٌ بكلِّ كمال يليق به، منزَّهٌ عن كلِّ نقص، فيجب
توحيده برُبوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وتوحيده برُبوبيته الإقرارُ بأنه واحد في أفعاله، لا شريك له فيها، كالخلق والرزق والإحياء
والإماتة، وتدبير الأمور والتصرف في الكون، وغير ذلك ممَّا يتعلَّق برُبوبيته.

وتوحيد الألوهية توحيده بأفعال العباد، كاللذات والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والاستعاذة
والاستغاثة والدُّبح والنذر، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها، فلا يُصرف منها
شيء لغيره، ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا، فضلاً عن سواهما.

وأما توحيد الأسماء والصفات، فهو إثبات كلِّ ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه
وسلم من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله، دون تكبير أو تمثيل، ودون تحريف
أو تأويل أو تعطيل، وتنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به، كما قال الله عزَّ وجلَّ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، فجمع في هذه الآية بين الإثبات والتنزيه، فالإثبات في قوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ} ، والتنزيه في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، فله سبحانه وتعالى سمع لا كالأسماع، وبصر
لا كالأبصار، وهكذا يُقال في كلِّ ما ثبت لله من الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عُرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة، ويتَّضح ذلك بأول
سورة في القرآن، وآخر سورة؛ فإنَّ كلاً منهما مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة.

فأما سورة الفاتحة، فإنَّ الآية الأولى فيها، وهي: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} مشتملة على هذه
الأنواع؛ فإنَّ {الْحَمْدُ لِلَّهِ} فيها توحيد الألوهية؛ لأنَّ إضافة الحمد إليه من العباد عبادة، وفي قوله:
{رَبِّ الْعَالَمِينَ} إثبات توحيد الربوبية، وهو كون الله عزَّ وجلَّ ربَّ العالمين، والعالمون هم كلُّ
مَن سوى الله؛ فإنَّه ليس في الوجود إلَّا خالقٌ ومخلوق، والله الخالق، وكلُّ مَن سواه مخلوق،
ومن أسماء الله الرب، وقبله لفظ الجلالة في هذه الآية.

وقوله: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} مشتملٌ على توحيد الأسماء والصفات، والرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله يُدلّان على صفة من صفات الله، وهي الرّحمة، وأسماءُ الله كُلُّها مشتقّة، وليس فيها اسم جامد، وكلُّ اسم من الأسماء يدلُّ على صفة من صفاته.

و {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} فيه إثبات توحيد الربوبية، وهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة، وإنّما خصَّ يوم الدِّين بأنَّ الله مالِكُه؛ لأنَّ ذلك اليوم يخضع فيه الجميعُ لربِّ العالمين، بخلاف الدنيا، فإنَّه وُجد فيها من عتا وتَجَبَّر، وقال: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى}

الثانية: الإيمان بالملائكة هو الإيمان بأنَّهم خُلِقُوا من خلق الله، خُلِقُوا من نور، كما في صحيح مسلم (٢٩٩٦) أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خُلِقَتِ الملائكةُ من نور، وخُلِقَ الجانُّ من نار، وخُلِقَ آدم مِمَّا وُصِفَ لكم"، وهم ذوو أجنحة كما في الآية الأولى من سورة فاطر، وجبريل له ستمائة جناح، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدّم قريباً، وهم خلقٌ كثيرٌ لا يعلم عددهم إلا الله عزَّ وجلَّ، ويدلُّ لذلك أنّ البيت المعمور - وهو في السماء السابعة - يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٥٩)، وروى مسلم في صحيحه (٢٨٤٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤُنَهَا".

والملائكة منهم الموكّلون بالوحي، والموكّلون بالقطر، والموكّلون بالموت، والموكّلون بالأرحام، والموكّلون بالجنة، والموكّلون بالنار، والموكّلون بغير ذلك، وكلُّهم مستسلمون منقادون لأمر الله، {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، وقد سُمِّيَ منهم في الكتاب والسنة جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ومنكر ونكير، والواجب الإيمان بمن سُمِّيَ منهم ومن لم يسمَّ، والواجب أيضاً الإيمان والتصديق بكلِّ ما جاء في الكتاب العزيز وصحّت به السنة من أخبار عن الملائكة.

المحاضرة الثامنة

الاحاديث الواردة في معرفة الله تعالى

أوجب الشرع الشريف على المكلفين معرفة الله تعالى معرفة يقينية جازمة ثابتة بالدليل العقلي الصحيح، لقوله عز وجل: {فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} محمد/١٩، ومعرفة الله تعالى الواجبة في الإسلام هي الإيمان بمقتضى الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)، أي: التصديق بالله تعالى بمعرفة ما يجب له من صفات الكمال، وما يستحيل عليه من صفات النقص، والتصديق بما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التسليم والإذعان.

و كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: "أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به".
واعلم أن هذه المعرفة تكون ، عن طريق النظر والتفكير والبرهنة، التي دعا إليها القرآن الكريم . كما قال تعالى: {أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض} {أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت ..} {فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شققا} .

والحقّ الذي أجمع عليه كثير من فرق المسلمين أن إثبات وجود الله تعالى ليس ممتنعاً، بل هو أمر اعتقادي ممكن الحصول، بل حاصل بالفعل بالأدلة العقلية، خلافاً لبعض الفلاسفة والحداثيين، قال السيد الجرجاني: "إمكان معرفة الله تعالى فرغ إفادة النظر في العلم مطلقاً" [شرح المواقف للجرجاني / ١ / ٢٥٩]،

الطرق الموصلة إلى معرفة الله تبارك وتعالى

إن الطرق الموصلة إلى معرفة الله تعالى كثيرة ومتعددة ، فإذا أمعنا النظر في هذا الكون الواسع الفسيح، لوجدنا أن كل شيء فيه لهو دليلٌ واضح على وجود الله وطريق إلى معرفته سبحانه، بشرط أن تتجاوز نظرتنا المادية الظاهرية للأشياء، وتليها نظرة ثاقبة وفاحصة تصل إلى بواطن الأشياء، إذ أن هناك فرقاً بين النظرة المادية السطحية التي تنظر إلى الطبيعة ولا تتخذها وسيلة إلى معرفة الله تعالى، وبين النظرة الإلهية الثاقبة التي تتجاوز المعرفة الظاهرية للطبيعة وتصل إلى المعرفة الباطنية -

وإن طرق معرفة الله تكون بعدد الظواهر الطبيعية، ابتداءً من الذرة وانتهاءً بالمجرة، لذا فإننا نجد رجال الوحي ودعاة التوحيد يركزون في إرشاد الناس إلى معرفة الله عز وجل على دعوة الناس إلى النظر في الكون والإمعان في النظم والسنن الموجودة فيه.

أهم البراهين الدالة على معرفة الله:

وهنا نُشير إلى أهم الطرق الموصلة إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ونختار من الأدلة والبراهين الكثيرة، أوضحها وأقربها إلى الحس والتجربة، وهي: برهان النظم ، وهو التدقيق في حقيقة النظم والتناسق السائد على أجزاء هذا الكون الفسيح من الذرة وحتى المجرة من دون استثناء وتتبع علته، وهذا التدقيق والتأمل كفيلاً بإثبات وجود خالق لهذا الكون، كما يثبت بأن هذا الخالق لا يمكن إلا أن يكون عاقلاً عالماً قادراً وهادفاً، إذ أن حقيقة النظم تكمن في أمور وهي:

الأول: وجود ترابط تام بين أجزاء متنوعة ومختلفة من حيث الكمية والكيفية.

الثاني: وجود ترتيب وتناسق دقيق بينها، يجعل التعاون والتفاعل فيما بينها ممكناً.

الثالث: وجود الهدف والغاية من إيجاد هذا العالم المنظم.

ثم إن العقل المدقق في حقيقة النظم والمتتبع لعلته، سيحكم فوراً بأن مصدر ذلك هو خالق عاقل حكيم عالم وهادف، قد أوجد الأجزاء المختلفة كما وكيفا، ورتبها ونسقها بحيث يمكن أن تتفاعل في ما بينها لتحقيق الهدف المطلوب والغاية المقصودة من إيجادها، وهذا الحكم الذي يصدر عن العقل لا يستند إلى شيء سوى إلى ماهية النظام وطبيعته الراضية للتحقق بلا فاعل عاقل ومدبر، ولا يستند إلى التشابه، ولا إلى التجربة كما تخيل ذلك.

في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار))

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" رواه مسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال: "أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟ قلت: لا، قال: لكن الله يدري وسيحكم بينهما" رواه أحمد

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله. لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله تبارك وتعالى" رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة مرفوعاً "إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فسقته فغفر لها به" وقال "دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض" قال الزهري لئلا يتكل أحد ولا يبيأس أحد أخرجاه

المحاضرة التاسعة

الاحاديث الواردة في توحيد الله تعالى

كان مدلول كلمة التوحيد في كلام رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم : هو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فمن كلامه الدال على ذلك ما يلي :-

١- حديث معاذ بن جبل

روى البخاري في كتاب التوحيد قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَعْبِدٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُوْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» () .

وفي رواية قوله: " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ وَكَيْعٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ زَكَرِيَاءَ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَبَّمَا قَالَ وَكَيْعٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُوْخَذُ مِنْ

أَغْنِيَانَهُمْ فَتَرُدُّ فِي فُقْرَائِهِمْ فَإِنَّ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ
لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حَبَابٌ" ()

وفي رواية أخرى: " حَدَّثَنَا أُمِّيَّةُ بِنْتُ بَسْطَامٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ،
عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمِّيَّةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ، عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ:
«إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيُكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ
أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ
عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرُدُّ عَلَى فُقْرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ
النَّاسِ» ()

٢- حديث من قال لا إله إلا الله

روى البخاري عن رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم أنه قال: "من قال لا إله إلا
الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله" () .

وفي رواية: " حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ وَحَدَّ اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ حَرَّمَ اللَّهُ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحِسَابَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ (حم) ٢٦٦٧٠ ()

٣- حديث بني الإسلام على خمس

روى مسلم في صحيحه حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ يَعْنِي
سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ الْأَحْمَرَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ عَلَى أَنْ يُوحَدَ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَالْحَجِّ فَقَالَ رَجُلٌ الْحَجُّ وَصِيَامُ رَمَضَانَ قَالَ لَا صِيَامَ رَمَضَانَ وَالْحَجُّ هَكَذَا
سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ () .

وجاء في رواية أخرى: وَحَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُمَانَ الْعَسْكَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَاءَ، حَدَّثَنَا
سَعْدُ بْنُ طَارِقٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ السُّلَمِيُّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» () ، وفي رواية: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي،
حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» ()

المحاضرة العاشرة

صفات الله الواجبة او الثبوتية

وهي الصفات واجبة الثبوت والنسبة لله سبحانه وتعالى فثبوت نسبتها إلى الله سبحانه لا شك فيه، وهي تقسم إلى أربعة أقسام:

١- الصفات النفسية: وتدلّ على الوجود الذاتي لله سبحانه.

٢- الصفات السلبية: وتدلّ على سلب ما لا يليق بالله من الصفات، ولها خمسة أصول من الصفات، هي: القدم، بسلب عدم السابق على الوجود، والبقاء، بسلب عدم اللاحق عليه، ومخالفة الحوادث، بمخالفة ذاته ذات المخلوقات، ومخالفة أفعاله أفعالهم، والغنى المطلق، بقيامه بنفسه، وعدم احتياجه لغيره من خلقه، والوحدانية، بسلب عدم اللاحق عليه، له في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله.

٣- صفات المعاني: وهي الصفات التي توجب الحكم للموصوف، وهي صفات سبع: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر. ٤- الصفات المعنوية: وتشتق من صفات المعاني، لتدلّ على قيامها بذات الله سبحانه.

وهناك صفات يستحيل نسبتها إلى الله تعالى والمستحيلة يقصد بها الصفات التي تستحيل نسبتها لله، لاستحالة اتّصاف الله بها، فذلك لا يوافق عقل سليم أو نقل صحيح، وفي الغالب تكون الصفات المستحيلة في حق الله سبحانه، مقابلة للصفات الواجبة، ومن أمثلة ذلك: الوجود، صفة واجبة، ويقابلها عدم، وهي صفة مستحيلة في حق الله سبحانه. القدم، ويقابلها الحدوث. البقاء، ويقابلها الفناء. المخالفة للحوادث، يقابلها المماثلة والموافقة للحوادث. الغنى المطلق، يقابلها الافتقار. الحياة، يقابلها الموت. العلم، يقابلها الجهل. القدرة، يقابلها العجز. السمع يقابلها الصمم. الكلام، يقابلها البكم. وهكذا مع العديد من الصفات الواجبة في حق الله سبحانه نجد أنه يقابلها صفات مستحيلة النسبة لله سبحانه. وفي ما يلي تفاصيل الأدلة من الحديث النبوي الشريف لكل صفة:

١- صفة الحياة

حديث ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا تموت، والجن والإنس يموتون.

صفة العلم:

حدثنا مطرف بن عبد الله أبو مصعب حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وأجله فاقره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وأجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته.

صفة الارادة والمشیئة

٣١٢ حدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فإذا أراد أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق والأجل فيكتب في بطن أمه))

صفة القدرة

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ بُسْرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ، حَدَّثَنِي النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكِلَابِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزَيِّعَهُ أَرَاغَهُ». المراد بهما صفتين من صفات الله جل وعلا القدرة والارادة

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة □: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت أخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر.

روى مسلم في صحيحه عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه : ضع يدك على الذي يألم من جسدي وقل : باسم الله ، ثلاثا ، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر .

صفة الكلام:

رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ ، فَتَرَاعَى ذُرِّيَّتَهُ ، فَيَقَالُ : هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، كَمْ أَخْرِجُ ؟ فَيَقُولُ : أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِذَا أَخَذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعُونَ فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا ؟ قَالَ : إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَّمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي النَّوْرِ الْأَسْوَدِ .

صفة السمع :

حديث عائشة -رضى الله عنها- أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، وإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل □ فناداني، فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول

قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات)

صفة البصر

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لي يا عبد الله بن قيس قلت لبيك يا رسول الله قال ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي قال لا حول ولا قوة إلا بالله

القدم

وفي الحديث: ((أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم؛ من الشيطان الرجيم))

الوحدانية وهي صفة كمال الله تعالى يوصف الله تعالى بانه الاحد الذي ليس له شريك ولا ولد ولا ولد كما قال عن نفسه قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

ومن الحديث القدسي (.... اما شتمه اياي فقله اتخذ الله ولدا ، وانا الله الاحد الصمد لم ألد ، ولم أولد ولم يكن لي كفوا احد)

نكتفي بهذا القدر ونلتقي بحضراتكم في الدرس القادم باذن الله تعالى

المحاضرة الحادية عشر:

كلام الله تعالى

يعتقد المسلمون أن الله عز وجل يتكلم ويقول ويتحدث وينادي، وأن كلامه بصوت وحرف، وأن القرآن كلامه، منزل غير مخلوق، وكلام الله صفة ذاتية فعلية (ذاتية باعتبار أصله و فعلية باعتبار آحاده).

-الآيات الواردة في كلام الله تعالى:

١- قوله تعالى: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا [النساء: ١٦٤].

٢- وقوله: فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ

يَا مُوسَى إِنَّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [القصص: ٣٠] (نداء بصوت مسموع).

٣- وقوله: قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا [الكهف: ١٠٩]. (كلام مكتوب).

٤- وقوله: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ [التوبة: ٦]. (كلام يُسمع).

٥- وقوله: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا [النساء: ٨٧].

الاحاديث الواردة في كلام الله تعالى:

- ١- حديث احتجاج آدم وموسى وفيه: ((قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بكلامه)) (٢) .
- ٢- حديث قصة الإفك وقول عائشة رضي الله عنها: ((...ولشأنني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلى...)) (٣) .
- ٣- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟...)) (٤) .
- ٤- حديث ابن عباس رضي الله عنه: ((بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم...وقال: أبشر بنورين أوتيتهنَّ لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما؛ إلا أعطيته)) (٥) .
- ٥- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: ((يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إِنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار)) (٦) .

ومن أقوال العلماء في ذلك:

- ١- قال الإمام البخاري: (وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ينادي بصوتٍ يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرْب، فليس هذا لغير الله جل ذكره، وفي هذا (يعني: حديث عبد الله بن أنيس ذكره بعد كلامه هذا) دليل أنَّ صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأنَّ صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأنَّ الملائكة يصعقون من صوته؛ فإذا نادى الملائكة؛ لم يصعقوا) (٧) .
- ٢- وقال أبو بكر الخلال: (أخبرني علي بن عيسى أنَّ حنبلاً حدثهم؛ قال: قلت لأبي عبد الله: الله يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم؛ فمن يقضي بين الخلائق إلا الله عزَّ وجلَّ؟! يكلم عبده ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله متكلماً؛ يأمر بما يشاء، ويحكم بما يشاء، وليس له عدل ولا مثل، كيف شاء وأين شاء) (٨) .
- ٣- وقال عبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله: (سألت أبي رحمه الله عن قوم يقولون: لما كلم الله عزَّ وجلَّ موسى؛ لم يتكلم بصوت، فقال أبي: بلى؛ إن ربك عزَّ وجلَّ تكلم بصوت، هذه الأحاديث نروها كما جاءت) (٩) .

٤- وقال ابن أبي عاصم: (باب: ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك) (١٠) .

٥- وقال أبو الحسن الأشعري: (وأجمعوا على إثبات حياة الله عزَّ وجلَّ، لم يزل بها حياً... وكلاماً لم يزل به متكلماً...) (١١) .

٦- وقال قَوَّام السُّنَّة الأصبهاني (وخاطر أبو بكر رضي الله عنه (أي: راهن قوماً من أهل مكة)، فقرأ عليهم القرآن، فقالوا: هذا من كلام صاحبك. فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر: (إنَّ هذا القرآن كلام الله).

فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم، مثل: سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، والشعبي، وغيرهم ممَّن يطول ذكرهم، أشاروا إلى أنَّ كلام الله هو المتلُّو في المحارِب والمصاحف.

وذكر: صالح بن أحمد بن حنبل، وحنبل؛ أنَّ أحمد رحمه الله؛ قال: (جبريل سمعه من الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل، والصحابة سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم).

وفي قول أبي بكر رضي الله عنه: (ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، إنما هو كلام الله تعالى): إثبات الحرف والصوت؛ لأنه إنما تلا عليهم القرآن بالحرف والصوت (١٢) .

٧- وبوب رحمه الله: (فصل في إثبات النداء صفة لله عزَّ وجلَّ) (١٣) . ثم سرد جملة من الآيات والأحاديث.

٨- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (واستفاضت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السُّنَّة؛ أنه سبحانه ينادي بصوت؛ نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إنَّ الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف) (١٤) . (مجموع الفتاوى) (٣٠٤/١٢) . وانظر أيضاً: ((مجموع الفتاوى)) (٥١٣/٦-٥٤٥)

٩- وقال بعض العلماء : (إثبات أن الله تعالى يتكلم بصوت ولهذا يخاطب موسى ويكلمه ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويكلمه ليلة المعراج فهم يسمعون صوته ويردون عليه) .

المحاضرة الثانية عشر:

احاديث رؤية الله تعالى

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة - رضي الله عنه-: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس، ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً، فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت،

وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها -شك إبراهيم- فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه. ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوة الرسل يومئذ الله سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم، يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق، بقي بعمله، أو الموثق بعمله، ومنهم المخردل، أو المجازي، أو نحوه، ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل منهم مقبل بوجهه على النار - هو آخر أهل النار دخولا الجنة- فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبنى ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله بما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود وموathيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة، ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: ألسنت قد أعطيت عهودك وموathيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!! فيقول: أي رب ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره، ويُعطى ما شاء من عهود وموathيق، فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة فيقول الله: ألسنت قد أعطيت عهودك وموathيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!! فيقول: أي رب لا أكونن أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنه، فسأل ربه وتمنى حتى إن الله ليذكره يقول: كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانى، قال الله: ذلك لك ومثله معه .

الشرح:

قوله: (هل ترون الشمس ليس دونها سحب... فإنكم ترونه كذلك): هذا صريح في رؤية الله -عز وجل-، وأنها رؤية بصرية، وصريح في الرد على أهل البدع كالجهمية والمعتزلة الذين قالوا: إن الرؤية هنا رؤية علمية قلبية. وما ذاك إلا لأن الشبه استولت عليهم، وأعمت بصائرهم، ووقع في أذهانهم أن رؤية الله فيها تنقص له، وقالوا: لو قلنا: إننا نراه لكان محدوداً في جهة معينة، والمحدود معناه أن يكون متحيزاً تحوزه الأشياء، وإذا كان مرتباً لا بد أن يكون جسمًا، والجسم مركب من أجزاء، والله منزّه عن ذلك، فهو واحد لا يتجزأ، فلا يكون جسمًا ولا متحيزًا ولا في جهة؛ ولذلك أنكروا الرؤية ونفوها. ويقولون: كل هذا من لوازم الرؤية البصرية، فهذا يستلزم أنها ليست رؤية بصرية، فليس عندهم مستند على إنكارها إلا عقولهم وشبههم الفاسدة. وكل هذه الشبه باطلة، وكلها من زبالة الأذهان ونحاة الأفكار؛ لأن جميع هذه اللوازم تلزم المخلوق، فهو المحدود والمتحيز، وهو المركب من أجزاء، أما الله -تعالى- فلا يشبه خلقه، قال تعالى: لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فهو -سبحانه- يرى يوم القيامة، يراه المؤمنون رؤية واضحة، ولا يحيطون به رؤية؛ لأنه سبحانه لا تدركه الأبصار.

قوله: (من كان يعبد شيئاً فليتبعه): أي: من كان يعبد شيئاً في الدنيا فليتبعه، فكل يتبع معبوده، (فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت): أي: يتبعونهم إلى النار، كما في الحديث الآخر أنهم يساقون على النار فمن كان يعبد الشمس كالوثنيين يساقون مع الشمس إلى النار والشمس تكون معهم في النار، والقمر كذلك، وكذلك من كان يعبد الشجر والحجر، ومن كان يعبد الطواغيت كذلك، فكل ما عبد من دون الله، فهو طاغوت، وهذا عام، إلا الأنبياء والصالحون الذين لم يرضوا، استثناهم الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ وكذلك جاء في الحديث الآخر أن اليهود يقال لهم: ما كنتم تعبدون، فيقولون: نعبد عزيراً ابن الله، فيقال: كذبتُم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولداً، ثم يساقون إلى النار، وكذلك النصراني يقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتُم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولداً، ثم يساقون إلى النار. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فالمنافقون صاروا مع المؤمنين لأنهم ينتسبون إلى الإسلام في الدنيا، ثم بعد ذلك يحصل الانفصال بينهم وبين المؤمنين.

قوله: (فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم): لأنه لا يبقى إلا المؤمنين؛ لأن كل أمة تبعث معبودها، ولم يبق إلا هذه الأمة فيها منافقوها، فيقول: لهم ما كنتم تنتظرون، فيقولون: ننتظر ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، وقد جعل الله -تعالى- بينه وبينهم علامة، وهي كشف الساق.

قوله: (فيأتيهم الله صورته التي يعرفون): هذا فيه إثبات الصورة لله -عز وجل- وأن الله -تعالى- له صورة حقيقية، وهي صفة من صفاته الذاتية. وقوله: (فيأتيهم) فيه إثبات صفة الإتيان لله -عز وجل- وهي من الصفات الفعلية.

: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ كسائر صفاته، سبحانه وتعالى.

ثم بعد ذلك إذا رآه المؤمنون -كما في الحديث الآخر- سجدوا له، وأراد المنافقون أن يسجدوا، فيجعل الله ظهر كل واحد منهم طبقةً واحداً، فلا يستطيع السجود، كما قال -تعالى-: يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الآية.

ثم بعد ذلك ينطلق المؤمنون، ومعهم المنافقون كل معه نور، ثم ينطفئ نور المنافقين، ويصبحون في ظلام دامس، ويقولون للمؤمنين إذا ذهبوا أمامهم: أَنْظِرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ أي: انتظرونا لعلنا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ فزال بهرجهم الذي ظنوا أنه ينفعهم يوم القيامة، فخدعوا الله -تعالى- والمؤمنين في الدنيا، وعاد وبال خداعهم عليهم، فخدعوا في الآخرة، وانطفأ نورهم، فصاروا مع الأشقياء نسأل الله -تعالى- العافية.

ثم يضرب الصراط على متن جهنم، والأمر في ذلك اليوم عظيم، فلا يتكلم إلا الرسل ودعوة الرسل (اللهم سلم سلم). وعلى الصراط (كلايب مثل شوك السعدان، لكن لا يعلم عظم قدره إلا الله): شوك السعدان في الدنيا صغير، لكنه يشبه ما في الآخرة في الكيفية والهيئة، لكن عظمها وحقيقتها لا يعلمها إلا الله: (فتخطف الناس على قدر أعمالهم): تخطف، من خطف يخطف كفرح

يفرح. وفي الحديث الآخر أن الناس يَمرون على الصراط على قدر أعمالهم فيكون أولهم كالطرف، ثم كالبرق، ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كأجويد الخيل والركاب، أي: الإبل. تجري بهم أعمالهم، ونبينا -صلى الله عليه وسلم - يقول: (اللهم سلم سلم) ثم يأتي من يَعُو عَدُوا، ثم من يمشي مشياً، ثم من يزحف زحفاً، وعلى الصراط كلاليب تخطف من شاء الله وتلقيه في النار، جاء في حديث ضعيف: (أن النار تقول: جُزْ يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي) ومن سلم وتجاوز الصراط، فقد سلم ومآله إلى الجنة.

قوله: (فيأتيهم على الصورة التي يعرفون): سبق في موضع آخر في مسألة الصورة، أنهم يرون ربهم أربع مرات، جاء فيه: فيرونها على غير الصورة التي يعرفون، فيقولون: نعوذ بالله هذا مكاننا، ثم يرونها في الصورة التي يعرفون، ثم يسجدون له، ثم يرونها فيتحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، وفي المرة الأولى لما رأوه في موقف يوم القيامة فهذه أربع مرات. وسبق إثبات مسألة الصورة في حديث: إن الله تعالى خلق آدم على صورته .

فائدة:

المؤمنون يرون الله -عز وجل- في المحشر في موقف القيامة، ويرونها بعد دخولهم الجنة، والكفار فيهم خلاف، من العلماء من قال: إنهم يرونها، ثم يحتجب عنهم، كما قال الله تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ومنهم من قال: إنهم لا يرونها، وإنما يلقونه لقاء بدون رؤية؛ لقوله تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ومنهم من قال: يراه المؤمنون والمنافقون على ما في الحديث: إن الكفرة يحشرون مع معبوديهم إلى النار، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيرون الله ثم يسجدون لله، والمنافق لا يستطيع السجود ومنهم من قال: إن المنافقين يرون الله، ثم يحتجب عنهم بعد ذلك. ومنهم من قال: إنهم لا يرونها رؤية رضى، بل رؤية غضب وأنه - سبحانه- يكلمهم كلام غضب.

قوله: (فمنهم الموبق بقي بعمله): الظاهر أنها: (بقي بعمله). والكلمة فيها خلاف في ضبطها.

قوله: (حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد): أي: قضى حسابهم، وانتهى الحساب، كما قال الله تعالى: سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّقْلَانِ هذا أسلوب عربي معروف، ولا يلزم من ذلك الانشغال، بل هذا في حق المخلوق، تقول العرب: سأفرغ لك لمن تريد أن تهدده، وهو ليس مشغولاً بشيء، والمعنى تهديد له بمعنى أنك سوف تلقى جزاءك، وليس المعنى أنني مشغول لك، قوله: (وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار...) إلخ. هذه الشفاعة في عصاة الموحدين. ممن يشهد أن لا إله إلا الله، أي: يُوحّد الله، لكنهم دخلوا بكبائر عملوها، وماتوا عليها من غير توبة، كالزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين والسرقة، أو قطيعة الرحم، أو الغيبة والنميمة، أو التعامل بالربا، أو أكل مال اليتيم، أو غيرها من الكبائر، لكنهم مؤمنون مُوحّدون يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلون، فعلامة السجود لا تأكلها النار، وفي الحديث الآخر: إن الله حرم على النار أن تأكل صورهم أي: وجوههم قوله: (فيخرجون من النار، وقد امتحشوا): بفتح التاء على صيغة البناء للفاعل: أي احترقوا.

قوله: (كما تنبت الحبة في حميل السيل): الحبة: بكسر الحاء المهملة: أي البذرة التي تصلح للبذر، وليست (الحبة): بالفتح للحاء. فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة شيئاً فشيئاً.

قوله: (وأحرقني ذكاؤها): أي: حرها، وهذا الرجل آخر أهل النار خروجًا، وآخر أهل الجنة دخولًا.

قوله: (لا وعزتك): هذا حلف بصفة من صفات الله -عز وجل-، وهي صفة العزة، كما قال الله -تعالى- عن إبليس: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) وكما جاء أن النار حلفت بعزة الله، فلا بأس بالحلف باسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته، وفي لفظ آخر: أن الله -تعالى- يأخذ عليه العهود والمواثيق ألا يسأله غيرها، فإذا أخذ الله منه العهود والمواثيق صرف الله وجهه عن النار إلى الجهة الأخرى، ثم يبقى ما شاء الله. وهنا فيه أنه صار إلى الجنة، وفي اللفظ الآخر: أنه يرفع له شجرة، فيقرب إليها وهكذا من شجرة إلى شجرة، حتى يصل إلى باب الجنة، وفي كل مرة يأخذ الله عليه العهود والمواثيق ألا يسأل غيرها، ثم يسأل بعد مدة وربه يعذره؛ لأنه يرى شيئاً لا صبر له عنه، حتى يصير إلى باب الجنة فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله له: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!! ألم آخذ عليك العهود ألا تسأل غيرها، فيقول: يا رب، لا أكون أشقى خلقك، فيضحك الله، فإذا ضحك الله أدخله الجنة، ثم يقال له: تمنّ، فيتمنى حتى تنقطع الأمانى، وفي لفظ يذكره ربه، أسأل كذا وكذا، فإذا انقطعت أمانيه، قال الله له: لك ذلك، ومثله معه، وجاء في حديث أبي سعيد أنه قال: أما ترضى أن تعطى مثل ملك من ملوك الدنيا، ولك مع ذلك ما اشتيت نفسك ولذة عينك ولا موت، ولا مرض، ولا بول، ولا غائط، ولا شيخوخة، ولا هموم، ولا غموم، وهذه لا تحصل للملوك فيقول: رضيت يا رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله خمس مرات وفي الحديث الذي بعده: قال له لك ذلك وعشرة أمثاله خمسين مرة، مثل ملك من ملوك الدنيا. وهذا آخر من يخرج من النار، وآخر من يدخل الجنة.

قوله: (انفهمت له الجنة): أي تفسحت أمامه واتضحت له الرؤية.

قوله: (فيرى ما فيها من الحبرة والسرور) الحبرة، بفتح الحاء المهملة وسكون الباء المعجمة، أي: اللذة والكرامة.

قوله: (حتى يضحك الله منه): فيه إثبات الضحك لله -عز وجل- وهو من الصفات الفعلية. وقد أنكر أهل البدع صفة الضحك لله تعالى، وتأولها بعضهم بالرضا أي أنه -رضي- عليه، وهذا باطل فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أعلم الناس بربه أثبت لربه الضحك، وهو ضحك لا يشبه ضحك المخلوق، يليق بجلال الله وعظمته، ولا نعلم كيفيته.

قوله: (حتى إن الله لينكره): أي: يذكره بالأشياء التي ليست على باله حتى يسألها، قال الله تعالى: يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وقال سبحانه: نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ فكل ما يطلبونه وتشتهيه أنفسهم يحصل لهم، ومع ذلك هم خالدون لا ينقطع نعيمهم، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

المحاضرة الثالثة عشرة:

العدل الالهي

بعد ان اكملنا شرح الاحاديث الواردة في توحيد الله تعالى نتكلم اليوم عن مبحث العدل وتفصيلاته، بدءاً من تاريخ البحث في مسألة العدل الإلهي، وبيان معناه ومظاهره، وفرقه عن العدل البشري، وبيان رأي المدارس الإسلامية المختلفة في المسألة كالأشاعرة والمعتزلة وحكماء مدرسة أهل البيت .

اختلفت الفرق الإسلامية في هذا الأصل؛ فقد قال به "العدلية" _ ومنهم الإمامية _ بناءً على قولهم بالحسن والقبح العقليين، ولم يقل به الأشاعرة بناءً على قولهم بالحسن والقبح الشرعيين. وخصت الشيعة الإمامية العدالة كأصل من أصول المذهب.

يُعدُّ البحث في مسألة العدل الإلهي من أقدم المسائل التي فكّر فيها الإنسان وتحدث بها منذ العصور القديمة منذ أن بدأ بالبحث عن الخالق.

ومن خلال الآيات القرآنية الشريفة المتعلقة بالعدل يتجلى للعدل الإلهي ثلاثة مظاهر، وهي: العدل التكويني، والعدل التشريعي، والعدل الجزائي.

تعريف العدل

• لغةً: العَدْلُ: ما قام في النفوس أنه مُستقيم، وهو ضدُّ الجور. عَدَلُ الحاكم في الحكم يَعْدِلُ عَدْلًا وهو عَادِلٌ من قوم عُدُولٍ.

• اصطلاحاً: هو تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب.

تاريخ بحث مسألة العدل الإلهي

يرجع البحث في مسائل العدل الإلهي إلى العصور القديمة، منذ أن بدأ الإنسان بالبحث عن الله، والسؤال عن صفاته وكيفية إدارته وتدبيره للعالم، فعندما رأى الإنسان ما يحدث في العالم من شرور، دارت في ذهنه أسئلة كثيرة حول تفسير هذه الحوادث، وأسبابها ومدى صحة نسبتها إلى الله، وإذا كان الله هو المسبب لهذه الحوادث، فهل هذا يتعارض هذا مع عدله، ويتنافى مع اختيار الإنسان؟

والمصادر التاريخية تُشير إلى أن أقدم نصّ ديني أشار إلى مسألة العدل - في إطار الجبر والاختيار ومسألة الشرور - هو ما ورد في كتاب (الريج ويدا - سمهتا)، واستمر البحث في مسألة العدل الإلهي في الحضارات اللاحقة كالفكر اليوناني، إلى أن وصل البحث إلى الفكر الإسلامي .

الآراء حول العدل

اتفق المسلمون بجميع طوائفهم ومذاهبهم على أن الله سبحانه عادل لا يجور، غير أنهم يختلفون في تحديد معنى العدل، نتيجة اختلافهم حول الحسن والقبح العقليين والشرعيين

فالإمامية والمعتزلة أجمعت على أن العدل له مفهوم واحد اتفق عليه قاطبة العقلاء، يمكن لهم ادراكه وتحديده. وأما الأشاعرة فهم وإن وصفوا الله سبحانه بالعدل، لكنهم لا يحددون العدل، بمفهوم واضح، بل يوكلون ذلك إلى فعل الله سبحانه، وأن كل ما صدر منه فهو عدل، وكل ما نهى عنه فهو ظلم. [٥]

أقسام العدل

من خلال تلاوة الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بمبحث العدل، يتجلى للعدل الإلهي ثلاثة مظاهر وأقسام، وهي:

• العدل التكويني

ويُسمى العدل في الخلق وتدبير العالم، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى خلق جميع الكائنات وأعطاهما كل ما هي مستعدة له، وجعلها بشكل يتناسب مع الهدف الذي خلقها من أجله، وهياً لها جميع الظروف والوسائل التي تحتاجها في حياتها. [٦]

وقد دلت عليه جملة من الآيات القرآنية الكريمة مثل:

١. قوله تعالى: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى). [٧]

٢. قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). [٨]

٣. قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى). [٩]

٤. قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ). [١٠]

• العدل التشريعي

وهو أن الله تعالى لا يُهمَل تكليفاً فيه كمال الإنسان وسعادته، وبه قوام حياته المادية والمعنوية والدينية والأخروية، كما أنه لا يُكلف نفساً فوق طاقتها، وقد أشار الله إلى هذا النوع من العدل في جملة من آياته، كما في:

١. قوله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ). [١١]

٢. قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). [١٢]

٣. قوله تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ)، [١٣] وغيرها من الآيات.

• العدل الجزائي

أي أنّ الله لا يساوي بين المؤمن والكافر في مقام الجزاء، بل يجزي كل إنسان بها كسب، فيجزي المحسن بالإحسان والثواب، والمسيء بالعقاب، كما أنه تعالى لا يعاقب عبداً على مخالفة التكليف إلا بعد الإبلاغ، وقد أشار الباري سبحانه إلى هذا النوع من العادل في آيات كثيرة، منها:

١. قوله تعالى: (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)، [١٤] أي: إنّ عملهم لا يضيع، وأجرهم لا يتخلف، فهم في أمن من الظلم بنسيان أجرهم أو بترك إعطائه أو بنقصه أو تغييره، كما أنهم في أمن من أن لا يحفظ أعمالهم أو تُنسى بعد الحفظ أو تتغير بوجه من وجوه التغيير. [١٥]

٢. قوله تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)، [١٦] أي: لا يُنقص من إحسان محسن ولا يُزاد في إساءة مسيء. [١٧]

المحاضرة الرابعة عشر:

أدلة العدل الالهي

عندما تنتفي أسباب الظلم عن الله تعالى؛ تثبت عدالته بكافة أقسامها، فأسباب الظلم يُمكن أن تكون إحدى الحالات التالية:

١. الجهل بالمخلوق واستحقاقه بالتالي الجهل بحقوقه.

٢. الحاجة والفقر.

٣. الانتقام والحسد والضغينة.

٤. العناد والأنانية الناجمة عن العقد والأمراض النفسية.

وكل هذه الاسباب ناتجة عن حالة واحدة وهي "الشعور بالنقص والفراغ"، ونظراً لإثبات عدم وجود النقص في الذات الإلهية بالأدلة العقلية، تثبت بالتالي العدالة الإلهية. [١٨]

العدل ومشكلة الشرّ

مشكلة الشر هي مسألة وقعت نتيجة ملاحظة وجود الشر من جهة، ووجود إله كليّ القدرة والخير والعلم. فبما أنّ الله عادل ولا يفعل القبيح ولا يترك الحسن، لماذا نرى الكثير من الشرور كالزلازل والأوجاع والموت ونحوها، والاختلافات بين الناس كالسواد والبياض والبلادة والذكاء؟

جوابه: أجيب عن السؤال المذكور بجوابين:

• الأول: إجمالي

أن نحكم بأن هذه الأمور لا تخلو من الحكمة والمصلحة، وإلا لم تصدر من الحكيم المتعال، وكل ما فعله الله وصدر منه يبتني على الحكمة والصلاح؛ فإنما وجود الشر القليل يتبعه الخير الكثير". [١٩]

• الثاني: الأجوبة التفصيلية

يوجد عدة أجوبة تفصيلية، ومنها:

١. إنَّ الشرور لا تطلق حقيقة إلا على الأمور المعدومة، كموت زيد بعد وجوده، أو عدم الشجرة بعد وجودها، أو على عدم كمال الوجود ممن له شأنية ذلك الكمال، كعدم الثمر من الشجر القابل له. [٢٠]

٢. إنَّ للشرور منافع وفوائد كثيرة مهمة فقد حُكي عن أرسطو أن كثيراً من الشرور مقدمة لحصول الخيرات والكمالات الجديدة، فبإحساس الألم يندفع المتألم إلى علاج الأمراض على سبيل المثال. كما أن البلايا والآفات والعاهات، كثيراً ما تصلح لإعداد الكمالات المعنوية كالتوجه إلى الله، بحيث لو لم تكن تلك الأمور موجودة لما أمكن الوصول إلى هذه الكمالات المعنوية. [٢١]

٣. أن الاختلافات من جهة الأنواع والأوصاف كالسواد والبياض أو البلادة والذكاء، لا تنافي العدل؛ لأن العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، ولا حق للشيء قبل خلقته، إذ كل ما أعطاه الله تعالى للأشياء، هو فضل لا حق، والاختلاف فيه لا يكون ظلماً. [٢٢]

٤. أن علة النقص قد تكون من جهة تراحم الأسباب في عالم المادة لأن بعض الشرور هي من لوازم العالم المادي الدنيوي. [٢٣]

المحاضرة الخامسة عشر :

القضاء والقدر:

أمَّا القضاء والقدر: فهو متعلق بتوحيد الربوبية، وقد سبق أنَّ توحيد الألوهية: هو أفراد الله تعالى بالعبادة، وتوحيد الربوبية: أفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير، وتوحيد الأسماء الصفات: هو توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته.

والقضاء والقدر سرُّ الله تعالى المكتوب الذي لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، مكتوب في اللوح المحفوظ، في الكتاب المكنون الذي لا يطلع عليه أحد.

لماذا إذاً نتحدث في القضاء والقدر؟

أولاً: إنَّ الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا به، فكيف يُعرف إذا لم يُتحدث عنه، ويبيِّن للنَّاس أمره؟

ثانياً: الإيمان بالقدر ورد في أعظم حديث في الإسلام وهو حديث جبريل عليه السلام، وكذلك في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم [رواه البخاري: ٥٠، ومسلم: ٨]. فمعرفة من الدين، وهو واجب على سبيل الإجمال.

ثالثاً: أن القرآن الكريم مليء بذكر القدر وتفصيله، والله عز وجل أمرنا بتدبر القرآن وعقله، كما قال سبحانه وتعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ [ص: ٢٩].

رابعاً: الصحابة رضي الله عنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أدق الأمور المتعلقة بالقدر، كما جاء في صحيح مسلم من حديث سراقه بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم، أفيما جفت به الأقالم وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ قال: لا، بل فيما جفت به الأقالم وجرت به المقادير، قال: ففيما العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر [رواه مسلم: ٢٦٤٨]. وفي رواية: كل عامل ميسر لعمله [رواه مسلم: ٢٦٤٨].

خامساً: إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم قد علموا تلاميذهم بل وسألوهم عنه ليختبروهم وليحرزوا أفهامهم فيه، هل فهموا عقيدة القضاء والقدر أم لا، فجاء في صحيح مسلم: أن أبا الأسود الدؤلي قال: "قال لي عمران بن حصين رضي الله عنه: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؟ أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم، فقال: أفلا يكون ظلماً؟ ففرعت من ذلك فرعاً شديداً" الصحابي يقول للتابعي: إذا كانت الأشياء هذه التي نعملها كلها مقدر من قبل، قال: أليس بذلك ظلماً، قال أبو الأسود: ففرعت فرعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله، إنما لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك" [رواه مسلم: ٢٦٥٠].

أي: لتأكد أنك تفهم القضية فهماً صحيحاً.

سادساً: وكذلك فإن أئمة السلف رحمهم الله قد ألفوا في هذا الباب.

سابعاً: لو تركنا الحديث عن القدر لجهل الناس به لربما انفتح الباب لأهل البدع والضلالة يروجون باطلهم، بل قد فعلوا ذلك.

ثامناً: إننا لو تركناه لفاتنا علم غزير.

كيف نوجه الأحاديث التي تنهي عن الكلام في القضاء والقدر:

فإن قال قائل: كيف نجمع بين القضاء والقدر وعقيدة القضاء والقدر، وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا [رواه الطبراني ١٤٢٨]. وكذلك ما ورد في الحديث الآخر: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر حتى احمر وجهه كأنما فُفا في وجنتيه حب الرمان، وغضب غضباً شديداً، فقال: أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر أو أهلك حين تنازعوا في هذا الأمر عزمتم عليكم أن لا تنازعوا فيه [رواه الترمذي: ٢١٣٣].

والحديث قد حسَّنه بعض أهل العلم ، ونريد أن نعرف ما موقع هذين الحديثين إذاً في القضية؟
إنَّ هناك أحاديث تكلمت في تفاصيل القضاء والقدر، وأحاديث بظاها تنهى عن الخوض فيه،
فلا بد أن نوجَّهها توجيهاً فنقول:

أولاً: إنَّ الأحاديث التي وردت في النَّهي عن الخوض فيه إنَّما المقصود فيها الخوض بلا علم
ولا دليل بل خوضٌ بالباطل.

ثانياً: أن يخوض الإنسان معتمداً فيه على العقل البشري القاصر، والعقل البشري القاصر لا
يمكن أن يستقل بمعرفة تفاصيل العقيدة كما قلنا، أو المقصود أن يخوض الإنسان بالقضاء
والقدر مع عدم التَّسليم والإذعان لقضاء الله وقدره؛ لأنَّه غيب، والغيب مبنيٌّ على التَّسليم، فإذا
خاض الإنسان فيه بغير تسليم يدخل في النَّهي، وكذلك يمكن أن نقول إنَّ النَّهي عن البحث في
الجانب الخفي من القدر، والقدر سرُّ الله في خلقه لم يُطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، لم
يطلع أحد على اللوح المحفوظ ولم يره كله، ولا يعرف ما فيه إلا الله عزَّ وجلَّ، فهذا سرُّ الله،
فلو أراد إنسان أن يخوض في الجانب الخفي من القدر؛ فينطبق عليه الحديث في النَّهي، وكذلك
أيضاً يمكن أن نُوجَّه الحديث لمن أراد أن يسأل أسئلةً اعتراضيةً، ويسأل متعنداً متعنناً، كما
يقول: لماذا هدى الله فلاناً وأضلَّ فلاناً؟ ولماذا قبض الله فلاناً، فهذا الرجل كبيرٌ وما زال حياً،
وهذا الشاب الصَّغير لماذا مات؟ فهذا الخوض فيه أيضاً يدخل في النَّهي، أمَّا من سأل مستفهماً
عن الحكمة، مثلاً قال قائل: ماهي الحكمة من خلق إبليس؟ إذا كان يسأل مستفهماً للتَّعلم فهذا
غير إذا سأل متعنناً للاعتراض، وهذا داخل في النَّهي.

ثم الحديث واضح في قضية التَّنازع، فالتَّنازع في القدر يؤدي إلى الاختلاف والافتراق، ولا
يدخل في التَّنازع المذموم منازعة الفرق الضَّالة ومجادلتهم بالحق؛ لأننا قد أمرنا بها.

فهذا إذاً يُحمل عليه سبب غضب النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا بالجملة أنَّ الكلام في القدر
والبحث فيه بالمنهج العلمي الصَّحيح غير محرم ولا منهي عنه، وإنَّما الذي نهى عنه النَّبي صَلَّى
الله عليه وَسَلَّمَ الخوض بالباطل والتَّنازع فيه.

تعريف القضاء والقدر:

تعريف القدر لغةً:

القَدْر في اللغة: مصدر قَدِرًا، والقاف والذَّال والرَّاء أصل يدلُّ على مبلغ الشَّيء وكنهه ونهايته،
فالقَدْر مبلغ كل شيء، وكذلك قَدَّرت الشَّيء أفدَّره وأقدَّره من التَّقدير، والقدر هو القضاء
والحكم، وهو ما يفدَّره الله عزَّ وجلَّ من القضاء ويحكم به من الأمور، ويقال التَّقدير أيضاً
التَّروية والتَّفكير في تسوية أمر من الأمور.

تعريف القدر اصطلاحاً:

وأما في اصطلاح العلماء فالقدر: تقدير الله الكائنات حسبما سبق به علمه واقتضت حكمته،
ويكمن نقول: القدر: ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، قدَّر الله مقادير

الخالق وما يكون، وعَلِمَ عَزَّ وَجَلَّ ما سيقع وعلى أي صفة، فالقدر هو قدر الله ما علمه وكتبه وشاءه وخلقه.

تعريف القضاء لغةً:

وأما بالنسبة للقضاء فإن القضاء في اللغة: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان، وأصله القطع والفصل، وقضاء الشيء وإحكامه وإمضائه والفرغ منه، فيكون معنى الخلق أيضاً.

الفرق بين القضاء والقدر، والعلاقة بينهما:

فما العلاقة بين القضاء والقدر وما الفرق بينهما؟

قيل: المراد بالقدر: التَّقدير، وبالقضاء: الخلق، كقوله عز وجل: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ [فصلت: ١٢]، وأما القدر: التَّقدير، فهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأنَّ أحدهما بمثابة الأساس وهو القدر، والآخر بمثابة البناء وهو القضاء، فلا يمكن الفصل.

وقيل العكس فالقضاء: هو العلم السابق الذي حكم الله به، والقدر: هو وقوع الخلق وإيجاده وخلقه، وخلق هذه الأحداث الواقعة، وقيل إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وقيل هما بمعنى واحد، فمسألة الفرق بينهما يسيرة إن شاء الله.

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

ما هي ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، وما أثر ذلك على نفس المسلم؟

أولاً: القدر مما تعبدنا الله به استسلاماً له، فلا بدُّ أن نعرف حكم القضاء والقدر، وأنَّ الإيمان بالقضاء والقدر واجب لتعبد الله بالاستسلام لهذا القضاء والقدر.

ثانياً: إنَّ ذلك طريق للخلاص من الشُّرك، فالمجوس مثلاً ضلُّوا في باب القضاء والقدر، حيث زعموا أنَّ هناك خالقين: خالقٌ للشرِّ، وخالقٌ للخير، وجعلوا النور خالقَ الخير، والظلام خالقَ الشرِّ، وأثبتوا خالقين مع الله عزَّ وجلَّ وهذا شرك، ولذلك فإنَّ تبيان هذا الأمر ينقذ من هذه العقيدة الباطلة ومن غيرها.

ثالثاً: إنَّ الإيمان بالقضاء والقدر في الحقيقة يورث الشَّجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقضاء والقدر يعلم أنَّه لن يموت قبل وقته، وأنَّه لن يناله إلا ما كتب الله عزَّ وجلَّ عليه، ولذلك يُقدِّم في المعركة غير هيَّابٍ ولا وجلِّ، وليس بالضرَّورة أنَّ الواحد إذا خرج في معركةٍ أنَّه سيموت فيها، بل كثير من المعارك الذين يرجعون وينجون أكثر من الذين يهلكون، وهذا معروف حتى معارك النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كبدر وأحد والخندق ومكة وغيرها، فالذين رجعوا منها أكثر من الذين ماتوا فيها بأضعاف مضاعفة، فإذا ما دام أنَّه يعلم أنَّ القدر الذي قُدِّرَ عليه مكتوبٌ، فقد يكون بحادث سيارة، أو في معركة، أو بسكتة ونحوه، فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد قال: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ [التغابن: ١١].

وقد قال علقمة رحمه الله كلمة مؤثرة في هذه الآية، قال: "هو الرَّجُلُ تصيبه المصيبة فيعلم أنَّها من عند الله فيرضى ويُسلم" [تفسير الطبري ٢٣ / ٤٢١].

فإِذَا وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ، فَوَاضِحٌ أُنَّ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ [التغابن: ١١].

إذاً لو آمنت بأن الله هو الذي قدر وكتب ويفتح لك باب هداية، بسبب الإيمان بالقضاء والقدر، وليس فقط الصبر على المصيبة، وكذلك الإنفاق، فالإنسان يتصدق بما عنده من المال متوكلاً على الله بأن ما كتب له من الرزق سيأتيه، ويدفع أيضاً إلى الكرم من جهة أخرى فيرزق العبد بسببه استسلاماً واعتماداً قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا [التوبة: ٥١]. يرزقون به إخلاصاً، فإنَّ النَّاسَ لَا يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وهو القضاء والقدر، فالعبد يستمر إذاً على الإخلاص غير مبالي بمدح النَّاسِ وَلَا بِذَمِّهِمْ.

الإيمان القضاء والقدر يورث حُسن الظَّنِّ بالله:

الإيمان بهذه العقيدة المهمة يُرزق العبد به إحسان الظَّنِّ بالله، وقوة الرجاء:

ما مسني قدرٌ بكرهٍ أو رضى *** إلا اهتديت به إليك طريقاً

فالمؤمن حسنَ الظَّنِّ بالله يرجوا الله في كل أحواله، كذلك الإيمان بالقضاء والقدر يُرزق به الإنسان خوف من الله، وخوف من سوء الخاتمة، حيث يعلم أنَّ الله يقدر سوء خاتمة على أناس فيخافها.

كذلك فإنَّ الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض مثل الحسد، فلماذا الناس يحسدون؟ أمَّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [النساء: ٥٤]، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الزخرف: ٣٢]، فإذا آمن بالقدر أنَّ الله كتب لهذا ولهذا كذا، وأنا مكتوب لي كذا: فلماذا أحسد فلاناً على أنه فوقي، أو عنده أكثر مني، وهذه كلها أشياء مكتوبة، وكلها في اللوح المحفوظ، والله قسم الأرزاق بين العباد وهذا من شأنه عز وجل، فأنا أَرْضَى وَأَقْنَعُ بما عندي، ولا أحسد غيري، ولا أتمنى أن تزول عنه النعمة.

ثم إنَّ الإيمان بهذه العقيدة أيضاً يُحارب الخرافات؛ لأنَّ النَّاسَ يَلْجَأُونَ لِلدَّجَالِينَ وَالْمَشْعُودِينَ فِي أَيِّ شَيْءٍ، وللكهان والمنجمين والعرافين في علم الغيب، فالإنسان يعلم أنَّ هذا الأشياء المكتوبة لا يُغَيِّرُهَا هَوْلَاءُ الْكُهَّانِ وَالْمَنْجِمِينَ وَالْعُرَّافِينَ، وكذلك فلا يمكن أن يطلَّعوا على الغيب

الإيمان بالقضاء والقدر يورث التَّسْلِيمَ لحكم الله:

وكذلك يكون بالقضاء والقدر إيماناً به يسلم العبد من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، ولا يعترض بكلمة ولا يفعل، مثل النياحة فلماذا تحصل النياحة؟ لما تُقَطَّعَ شعرها، وتشقُّ ثوبها، وتضرب وجهها، تخمش خدها؟ لو أنَّ هناك إيمان قوي بعقيدة القضاء والقدر فإذا مات ولدها تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، أمَّا التَّقَطُّيعُ وَالضَّرْبُ وَاللِّطْمُ وَالْكَلَامُ الْكُفْرِي الَّذِي يَقَعُ مِنْهُمْ الْكَلَامُ الْكُفْرِي فَيُنَاقِضُ ذَلِكَ.

تَمَّ أَنَّ بِالْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ يَجِدُ الْإِنْسَانَ فِيهِ وَيَعَزِمُ فِي أُمُورِهِ، ويأخذ بالنافع ويحصل الأسباب المفيدة؛ لأنَّه يعلم أنَّ نبيه عليه الصلاة والسلام قال: احرص على ما ينفعك، واستعن

بالله ولا تعجزك، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل [رواه مسلم: ٦٩٤٥]. رواه مسلم.

ولذلك فإن العبد يشكر ربه على ما أنعم به عليه من اندفاع نقمة أو حصول نعمة وأن هذا قضاء من الله تعالى، فيرضى به العبد وتمتلاً نفسه بالرضا عن ربه والرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا ومستراح العابدين، بل إنه يفرح بالقدر قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون [يونس: ٥٨].

عندما يكون هذا القدر إيمان بالله وهداية، فإذا قدر الله لك الهداية تفرح به، وكذلك تحصل الاستقامة على المنهج في السراء والضراء، وعدم اليأس من انتصار الحق، مثل هذا الزمان الذي نحن فيه الآن من كثرة الأعداء وقوتهم وتسلطهم وضعف المسلمين وتأخرهم، هناك من يقول: لا فائدة فقد ضاقت ولا مخرج ولا نصر، فإذا آمنا بقضاء الله وقدره وأن الله على كل شيء قدير، وكما أنه جعل الدولة لهم يقبلها عليهم ويجعلها للمسلمين، عدم اليأس من انتصار الحق، وتلك الأيام نداولها بين الناس [آل عمران: ١٤٠].

فتكون الدولة للكفار مرة وللمسلمين مرة وتلك الأيام نداولها بين الناس [آل عمران: ١٤٠]. ثم يحصل أيضاً للعبد في هذا الجانب رضا، بمعنى أنه لا يتمنى أن يحدث غير الذي حدث إذا كان مؤمناً بالقضاء والقدر، ويعلم أن كل قضاء الله له خير، ولا يتأسف على شيء فات وانتهى، فليس مقدرًا لك، بل ربما الإنسان يكتشف أحياناً أن ما فاته كان خيراً له، فمثلاً: رجل ذهب ليحجز للسر فوجد الطائرة ممتلئة، وحاول أن يجد واسطاً لهم ولكن لا فائدة، فأقلعت الطائرة فانفجرت واحترقت، فعرف وسراً بأنه قدر عليه أنه لا يقع فيها.

تجري الأمور على حكم القضاء *** وفي طيِّ الحوادث محبوب ومكروه

وربما سرني ما كنت أحذره *** وربما ما ساءني ما كنت أرجوه

فيكتشف الإنسان أحياناً قصر نظره، أنه كان يسعى في أشياء وليست من مصلحته، وتارك أشياء هي من مصلحته، وكذلك يكتسب عزة النفس والقناعة والتحرر من رق المخلوقين في مثل قضية الرزق، وأن الرزق عند الله ولن يموت حتى يستوفي رزقه، وأن الله هو حسبه وهو الرزاق ولو قدر له شيئاً من الرزق فلا بد أن يصله، ولا يستطيع إنسان أن يقطع رزق فلان، ولا يقول بعض الناس لا تقطع رزق فلان فليس بصحيح، لكن لا تكن سبباً في قطع شيء معين، لكن ممكن يأتيه غيره، فيفصله من العمل ويرزق ذاك بعمل آخر في شركة أخرى، فالرزق سيأتي، وما يفعله بعض الناس هو أن يكون سبب في قطع شيء أو حصول شيء وذلك مجرد سبب، وإلا فالله هو الذي سخر هذا ليجد له عملاً، وقدّر على هذا وجرت الأحداث بأن يفصله من عمله، ولذلك الإنسان إذا رزق القناعة لم يكن ليلتفت.

رأيت القناعة كنزاً الغني *** فصرت بأذيالها ممتسك

فلا ذا يراني على بابه *** ولا ذا يراني به منهمك

وصرت غنياً بلا درهم *** أمرٌ على الناس شبه الملك

فاذاً الفوائد كثيرة جداً

الأدلة على أن القضاء والقدر حق:

القران الكريم:

لقد دلَّ القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة والإجماع والفطرة والعقل والحس على أن القضاء والقدر حق، أمَّا من القرآن الكريم فقد قال الله تعالى: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَفْعُولًا [الأحزاب: ٣٨]، وقال عز وجل: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر: ٤٩].

وقال سبحانه: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ [الحجر: ٢١]، وقال عز وجل: ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ [طه: ٤٠].

وقال سبحانه وتعالى: وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا [الفرقان: ٢]. وقال: وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَىٰ [الأعلى: ٣]، وقال: وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا [الأنفال: ٤٢].

السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

وأما من السُّنَّة فقد جاءت أحاديث النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطابقة وموافقة للقرآن الكريم، وشارحة له كما قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في حديث جبريل: وتؤمن بالقدر خيره وشره [رواه مسلم: ١٠٢].

وقال طاووس رحمه الله: "أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: كل شيء بقدر، وسمعت عبد الله بن عمر يقول: "كلُّ شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز" [رواه مسلم: ٦٩٢٢].

والنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما مرَّ معنا قال في الحديث وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا فالماضي انتهى ولا يمكن تغيير الماضي ولكن قل قدر الله وما شاء فعل [رواه مسلم: ٦٩٤٥].

الإجماع:

وأما من جهة الإجماع فقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره قال النووي رحمه الله: "وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله تعالى". [شرح النووي على صحيح مسلم: ١/١٥٥]. قال ابن حجر: "ومذهب الامة قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى" [فتح الباري: ١١/٤٧٨].

دلالة الفطرة:

وأما الفطرة فإنَّ الإيمان بالقدر مركز في فطر البشر، لا ينكره إلا شواذ المشركين ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره في الجملة وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح،

دلالة العقل:

ودلالة العقل بطبيعة الحال تدل على ارتباط الأسباب بالمسببات والمقدمات والنتائج، وأن الأمور التي تجري في هذا الكون لا بُدَّ أن تكون تجري على سنن وعلى قدر وعلى شيء مُحكم، وليس الأمور فوضى أو عشوائية، والحسُّ كذلك يدل عليه، فالتَّوحيد هو نظام الحياة، والقضاء والقدر من التَّوحيد الذي يجري عليه البشر، وقد قال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والسلف كلمات مضيئة في هذه القضية،

كما قال الوليد بن عباد بن عباد بن الصامت وهو داخل على أبيه: "دخلت على عبادة وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني، واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وما شره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله تعالى القلم، ثم قال: اكتب، فجرى بتلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، يا بُني، إن مت ولست على ذلك دخلت النَّار" [رواه أحمد: ٢٢٧٥٧]. الحديث رواه الإمام أحمد،

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: "كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك" [القدر للفريابي: ٢٦٨].

وقال عكرمة: سئل ابن عباس: "كيف تفقد سليمان الهدد من بين الطير؟ قال: إن سليمان صلوات الله عليه نزل منزلاً فلم يدري ما بعد الماء، وما عمقه في الأرض، وكان الهدد مهندساً -هذه كلمة عربية مهندساً- فالهدد فيه خاصية أنه يعرف عمق الماء، عنده خاصية ركبها الله فيه يعرف عمق الماء، فأراد أن يسأل عن الماء ففقد الهدد، قلت يقول عكرمة: "وكيف يكون مهندساً والصَّبِي ينصب له الحباله فيصبيه، يعني: كيف هذا الهدد المهندس والولد الصغير يضع له شركاً وفخاً ويصيده، فقال ابن عباس رضي الله عنه: إذا جاء القدر حال دون البصر، أو يقولون: إذا جاء القدر عمي البصر" [تفسير القرطبي ١٣ / ١٧٧ - ١٧٨]. عندما تقول لشخص كيف لم تر السيارة أمامك؟ فإذا جاء القدر عمي البصر، أو الأدمي هذا بكبره وما رأيته أمامك؟ وعمود نور طوله ثلاثة متر، أحياناً ما تجد لها تفسيراً إلا إذا جاء القدر عمي البصر، الله مُقدِّرٌ يحصل هذا الشيء سيحصل،

قال الحسن رحمه الله: "إنَّ الله خلق خلقاً فخلقهم بقدر، وقسَّم الآجال بقدر، وقسَّم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر" [القدر للفريابي: ٢٦٠].

وقال الحسن في مرضه الذي مات فيه: "إنَّ الله قَدَّرَ أجلاً وقَدَّرَ معه مرضاً وقَدَّرَ معه معافاةً، فمن كَذَّبَ بالقدر فقد كَذَّبَ بالقرآن ومن كَذَّبَ بالقرآن فقد كَذَّبَ بالحقِّ"

فما شاء الله كان ولو نحن ما شئنا، وما شئنا نحن لا يكون إذا شاء، ولذلك ليس إلا الرضا بهذه العقيدة، وأن نسير على منوالها، وأن نعتقد أن كلَّ شيء مكتوب، وهذا الذي يحمي الإنسان من الصَّدَمَات النَّفسية والانهيارات العصبية، وهذا هو الاعتقاد بقضاء الله وقدره، والذين انهاروا نفسياً والذين انتحروا كُلُّهم عندهم شرخ ونقص في هذه العقيدة في أنفسهم.

عقيدة القضاء والقدر على أربع مراتب:

وهي: العلم، والكتابة، والمشية، وخلق الأفعال والأحداث،

المرتبة الأولى: العلم:

فأمَّا بالنُّسبة لمرتبة العلم لأبَدِ نؤمن أنّ الله يعلم كل شيء جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده، علمه محيط بالماضي والحاضر والمستقبل، وما لا لم يكن لو كان كيف كان سيكون، يعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض، علم خلقه قبل أن يخلقهم، فعلم أرزاقهم وأجالهم وأقوالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، وعلم أهل الجنة وعلم أهل النار قبل أن يخلق الجنة وقبل أن يخلق النار، فإذا هذه أول مرتبة من مراتب القضاء والقدر، أول ركن العلم السابق الشامل،

متى كان تقدير مقادير الخلق

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
: نَّ اللهُ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ : عَرَشَهُ عَلَى الْمَاءِ " .

وجوب العمل وعدم التواكل

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة " قالوا : يا رسول الله! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟! قال : " اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له ؛ أمّا من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأمّا من كان من أهل الشقاوة ، فسييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ :
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى [الليل : ٦]